

العنوان:	دمشق فى عهود قدماء العرب الآراميين
المصدر:	التراث العربى - سوريا
المؤلف الرئيسي:	زهدي، بشير
المجلد/العدد:	مج 15, ع 59
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1995
الشهر:	ابريل / ذى القعدة
الصفحات:	110 - 140
رقم MD:	363866
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase, IslamicInfo
مواضيع:	الآراميون ، تاريخ دمشق ، التاريخ العربى ، شبه الجزيرة العربية ، بلاد الشام ، القبائل العربية ، الممالك الارامية ، الحضارة العربية ، التراث العربى ، الملوك والحكام
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/363866

دمشق

في عهد قديما والعرب الالاميين

بشير زهدي*

تعدّ نظرية (ونكلر WINCKLER) و (كيتاني CAETANI) مقبولة لدى معظم المؤرخين والباحثين الذين يعتبرون (شبه جزيرة العرب) الموطن الأول للعرب الذين ما زال عرقهم فيها صافياً ونقياً ، وان الموجات العربية البشرية المتتابة خرجت منها ، واستقرت في بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين .
ولعل تزايد سكان شبه الجزيرة العربية ، وجفاف المناطق المختلفة كانت من أهم الأسباب التي دفعت أولئك العرب القدماء الى القيام بالهجرة الفردية أو الجماعية نحو المناطق الشمالية الأكثر خصباً في فترات زمنية متباعدة .

وبما أن (بادية الشام) تعدّ امتداداً جغرافياً لشبه جزيرة العرب التي هي ينبوع تنساب منه الموجات البشرية ، لهذا كان من الطبيعي أن تنتقل هذه الجماعات العربية في بادية الشام طلباً للخصب والمرعى ، وبحثاً عن الماء والمأوى ... حتى اذا ما انتهزت لها فرصة استقرت في منطقة خصبة من مناطق بلاد الشام أو بلاد ما بين النهرين التي فيها الخصب الذي يجذب أولئك العرب القدماء ويفريهم بالاستقرار فيها بعدما اعتادوا على التنقل المستمر في البادية ، والاتصال الوادي بسكانها .

وكان هذا ما حصل في النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد ، عندما

(*) الأمين الرئيسي للمتحف الوطني بدمشق ، استاذ معاصر بجامعة دمشق .

خرجت قبائل الاخلاميين والآراميين وغيرهم من شبه جزيرة العرب ، وأخذت تنتقل في أطراف بادية الشام ، وتغزو من وقت لآخر الأراضي التابعة لمملكة بابل وآشور وسورية بغية الاستقرار فيها لممارسة الزراعة والتبادل التجاري والتخلي نهائياً عن حياة التنقل والبدواة .

وإذا كان الفشل نصيب محاولاتهم الأولى التي اضطرتهم الى خوض حروب عديدة ضد الملوك الآشوريين فانهم استطاعوا تدريجياً الاستقرار في مناطق مختلفة من بلاد الشام : وأخذوا يستقبلون الأفواج الجديدة المهاجرة من شبه جزيرة العرب والمتنقلة في بادية الشام ، واستطاعوا أن يصلوا جوار (كركميش / جرابلس) بل وتمكن أحد زعمائهم (حدد أبال دين) من الاستيلاء على بابل وحكمها عام ١٠٨٣-١٠٦٢ ق.م مما اضطرا الآشوريين على الاعتراف بهم مع الحذر منهم . كما تمكن الآراميون من التغلب تدريجياً على الاموريين في حوض العاصي الذي أسموه باللغة الآرامية (أورونت) ، ثم شكلوا مقاطعات ادارية عديدة تطابق تنظيماتهم القبلية الأولى . ولكن هذه المناطق تحولت الى ممالك آرامية تختلف فيما بينها من حيث أهميتها وقوة نفوذها وتأثيرها . وغدت هذه الممالك الآرامية الجديدة كطوق حصار حول الآشوريين الذين أصبحوا محرومين من منفذ لهم . وهكذا كان لمجيء الآراميين الى بلاد الشام واستقرارهم فيها أثر كبير في قلب الوضع الدولي عصرئذ في هذه المنطقة التي ظهر فيها الآراميون قوة جديدة هامة وفعالة تقض مضاجع الآخرين .

دمشق قبل مجيء الآراميين اليها واستقرارهم فيها :

إذا كان تاريخ بناء دمشق أقدم من التاريخ ، وإذا كان اسم بانيها ومؤسسها ما زال سراً من أسرار التاريخ . فان دمشق كانت قبل عهود قدماء العرب الآراميين أشبه بقرية صغيرة ، ربما كان لها معبدها الصغير في مكان مبنى الجامع الأموي ، تجمعت حوله مساكن أولئك المواطنين القدماء الذين كانوا يمارسون أعمالهم الزراعية المختلفة ، ويحرصون على خصب أرضهم والافادة من خيراتها ، ويقومون بتبادل محاصيلهم ومصنوعاتهم اليدوية البدائية المختلفة قرب ذلك المعبد الذي اعتاد أولئك المواطنون القدماء أن يتجمعوا فيه ، ويتحدثوا فيما بينهم

حواله . وربما كانت طرق تلك القرية القديمة بدائية وغير منتظمة ، ولكنها مع ذلك كانت تؤدى وظيفتها لمرور المواطنين الى معبدهم ومساكنهم ، ونقل محاصيلهم ومصنوعاتهم الى الأماكن المختلفة وقد تميز موقع دمشق بخصب أراضيها ووفرة مياهها العذبة ، ووجوده في مفترق الطرق التجارية كما تميز موقع دمشق بإمكان التوسع فيما حوله وان الآثار المكتشفة في أرضية صحن الجامع الأموي في دمشق تؤكد قدم تاريخ دمشق منذ الألف الثالثة قبل الميلاد .

دمشق واستقرار قدماء العرب الآراميين في بلاد الشام :

بعد مجيء قدماء العرب الآراميين الى بلاد الشام ، وتأسيسهم فيها ممالكهم الآرامية العديدة التي فشلت في توحيد صفوفها في امبراطورية كبيرة استقر كثير منهم في دمشق التي أخذت تتسع مساحة ويزداد عدد سكانها . وازدادت أهميتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وغدت بلدة هامة تابعة لـ (مملكة صوبا) إحدى تلك الممالك العربية الآرامية التي شكلتها موجة قدماء العرب الآراميين في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد .

تأسيس مملكة دمشق الآرامية :

في فترة تزايد نفوذ (داود) ١٠٢٩ - ٩٧٤ ، ومحاولاته توسيع أراضي مملكته على حساب أبناء البلاد الأصليين من قدماء العرب الكنعانيين والآراميين وغيرهم تذكر كتب التاريخ نبأ ظهور القائد العربي الآرامي (رزون ابن اليدع) الذي انفصل عن ملكه (حدعزر) ملك صوبا ، ومجيئه الى دمشق التي أسس فيها مملكته العربية الآرامية الشهيرة التي كان بانتظارها مهمات قومية وحضارية مختلفة . ويذكر المؤرخون والعهد القديم ان هذا القائد العربي الآرامي (رزون بن اليدع) استطاع أن يقلق (سليمان) طوال حياته .

رزون بن اليدع مؤسس مملكة دمشق الآرامية :

تميز القائد (رزون بن اليدع) بالحيوية والشباب والطموح والرغبة في الإصلاح والتطوير والتغيير في فترة أصاب (مملكة صوبا) الضعف والانحطاط في عهد ملكها (حدعزر بن رحوب) الذي تقدمت به السن وفشل في دعم الممالك

الآرامية الأخرى وحمايتها من أطماع (داود) ... مما جعل (رزون بن اليدع) يؤسس في دمشق مملكة وينصب نفسه ملكاً عليها .

انصرف الملك (رزون بن اليدع) الى القيام بكل ما من شأنه أن يزيد من أهمية مملكة دمشق الآرامية وقوتها الحربية وذلك بحسن الافادة من امكاناتها الاقتصادية اللا محدودة في تحقيق أهدافه المختلفة وطموحاته البعيدة .

وفي عهد (رزون بن اليدع) صارلمملكة دمشق الجديدة-الفتية من القوة الحربية ما جعلها تفرض احترامها على الآخرين ، وتسيطر على بقية جيرانها العرب الآراميين ، وتقف سداً قوياً أماممشاريع توسع الآشوريين ، وتقض مضاجع العبريين .

وغدت دمشق زعيمة الممالك الآرامية ، ووصف ملكها نفسه باسم (ملك آرام) . وفي الواقع كان لتزايد قوة مملكةدمشق الفتية أثره الكبير في فرض نفوذها وتحقيق مشروعاتها المتضمن تحالف الممالك الآرامية وغيرها لصد كل عدوان خارجي . وبلغ من أهمية قوة هذه المملكة الآرامية الفتية درجة جعلت (آشور دان الثاني ٩٣٢ - ٩١٢) يتجنب مملكة دمشق والدخول في نزاع معها في الوقت الذي كان يحارب القبائل العديدة قرب مناطق هذهالمملكة وفي جهة الشمال الغربي منها .

اغتنم ملك دمشق (رزون بن اليدع) فرصة انشغال أعدائه بالحروب والفتن المختلفة فقام بتحقيق مشاريعه المختلفة وبخاصة :

- توسيع أراضي مملكة دمشق الآرامية .
- فرض احترام مملكته على الآخرين .
- جعل مملكة دمشق الآرامية زعيمةالممالك الآرامية الأخرى .
- كما اهتم بمشاريعه العمرانية والمعمارية المختلفة وبخاصة :
- الاهتمام بتحسين مدينة دمشق وجعلها كقلعة منيعة .

- اتخاذ كل ما يلزم لازدهارها الاقتصادي وزيادة ثرواتها الزراعية وتشجيع صناعاتها المحلية وتنشيط عمليات مبادلاتها التجارية المختلفة ..

فأصبحت دمشق في عهد (رزون بن اليدع) مركزاً سياسياً وحريياً هاماً ،
كما غدت ذات أهمية زراعية وصناعية وتجارية ، فكانت كمحطة هامة من محطات
طرق التجارة الداخلية والعالمية عصرئذٍ .

وكانت القوافل المختلفة الآتية من بابل وآشور والمدن الفينيقية ومصر
والصحراء الغربية وأرمينية ٠٠ وغيرها ٠٠ واليها تنطلق من دمشق الى مختلف
أنحاء العالم القديم .

وازدادت أهمية دمشق الروحية والدينية بالاهتمام بتشبيد معبد رب
المطر (حدد) الذي حافظ على أهميته الكبيرة عبر العصور المتابعة ، واستمرت
في هذا المعبد الآرامي الفعاليات الروحية والطقوس الدينية حتى الأيام الأخيرة من
تاريخ الوثنية والميثولوجيا الآرامية .

وإذا كان (رزون بن اليدع) قد توفي قبل أن يتمكن من تحقيق كل المشاريع
التي كان يحلم بها ويعدّها فان ابنه (حزيون بن رزون) أخذ على عاتقه متابعتها
واستكمالها .

حزيون بن رزون بن اليدع (نحو ٩٠٠ - ٨٩٠ ق م ؟)

بعد وفاة الملك (رزون بن اليدع) اعتلى عرش مملكة دمشق الآرامية ابنه
(حزيون) الذي تابع سياسة أبيه السياسية والدفاعية والعمرانية والمعمارية
والاقتصادية ٠٠٠ وغيرها ٠٠٠ واستمر في الحرص على تعزيز قوة دمشق لجعلها
معقلاً هاماً في المنطقة في فترة زمنية اهتم فيها الآشوريون بحروبهم ضد الملوك
والأمراء الآراميين في بلاد الشام .

طاب ريمون بن حزيون (نحو ٨٩٠ ق م - ٨٨٠ ق م ؟)

بعد وفاة الملك (حزيون) اعتلى عرش مملكة دمشق الآرامية ابنه (طاب
ريمون) . وكانت دمشق قد أخذت تتمتع بمركز حربي قوي وأهمية دولية
متميزة ٠٠٠ مما جعل الزعماء العبريين يستنجدون بملك دمشق ، ويطلب كل منهم

تأييده للقضاء على خصمه ومنافسه ٠٠ كما كانوا يتسابقون لعقد المعاهدات معه
في سبيل توطيد حكمهم الضعيف ، ودعم مركزهم المهتز ٠٠

وكان الآشوريون وقتئذٍ يخوضون المعارك والحروب المختلفة ضد الملوك
والأمراء الآراميين الضعفاء الذين استقروا في منطقة حوض نهر الدجلة التي
سأدها الطابع الحضاري والسياسي العربي الآرامي ٠

برحدد الأول بن طاب ريمون (نحو ٨٨٠ - ٨٦٥ ق م ؟)

بعد وفاة (طاب ريمون) اعتلى عرش مملكة دمشق ابنه (برحدد الأول)
الذي كانت مملكته تتزايد قوتها باستمرار ، ومركزها يتعزز على الدوام ٠ في حين
أن العبريين كان قد أصابهم الضعف وأذلتهم التفرقة ، فتوارثوا النزاعات ،
واستولت عليهم الأحقاد فيما بينهم ٠ واستمر الفريقان العبريان المتنازعان منذ
وفاة (سليمان ٩٧٠ - ٩٣٥ ق م) يتقرب كل منهما من ملك دمشق طالباً منه
تأييده ومساعدته ودعمه للقضاء على خصمه ومنافسه ٠ وبلغ الأمر بحاكم
يهوذا (آسا) أن جمع كل ما كان في المعبد وخزائن أمارته من ذهب وفضة ووضع
بين أيدي أعضاء وفده الذين أرسلهم إلى دمشق لتسليمه إلى ملكها (برحدد الأول)
مع رسالة جاء فيها ما يلي :

(٠٠٠ يوجد بيني وبينك عهد كما كان بين أبي وأبيك ٠ هأنذا أرسل اليك
هدية من فضة ٠ فاذهب واقطع علاقتك مع (بعشا) لينصرف عني) ٠٠

وكان (بعشا) وقتئذٍ قد استطاع الوصول إلى مدينة أورشليم ، وتمكن من
حصارها ٠ فما كان من ملك دمشق (برحدد الأول) إلا أن لبي نداء حاكم يهوذا
(آسا) ٠ فأمر قواده بالزحف فوراً نحو الجنوب ٠ فنفتد القواد أمر ملكهم
(برحدد الأول) ، وفتحوا عدداً من المدن (عيون ، وابل ، كناروت) مما اضطر
(بعشا) أن يرفع حصاره عن مدينة أورشليم ، وينسحب عائداً إلى منطقته من
حيث أتى فنجأ بذلك حاكم يهوذا (آسا) من عدوان خصمه ومنافسه (بعشا) ٠

استطاع ملك دمشق (برحدد الأول) أن يوسع رقعة مملكته ، ويسترجع المذن الهامة لها وجعل (جلعاد في شرقي الأردن) تحت سيطرته ، مما زاد في نفوذه وضاعف قوته .

ويبدو أن ملك دمشق (برحدد الأول) اتبع في سياسته الخارجية السياسة التقليدية التي كانت (مملكة صوبا الآرامية) قد تبنتها واتبعتها وتتلخص فيما يلي :

١ - توحيد جهود الممالك الآرامية .

٢ - زيادة نفوذ الممالك الآرامية حتى منطقة الفرات .

مما جعل ملك دمشق (برحدد الأول) يتدخل في مختلف قضايا تلك الممالك . وكان تارة يبدو حليف (مملكة بيت أجوشي) التي كانت عاصمتها (ارباض / تل رفعت) قرب اعزاز في محافظة حلب حالياً ، وكان يبدو تارة أخرى منافساً . وقد عُثر في قرية بريج على بعد نحو ٧٠ كم من حلب على نصب آرامي يعود الى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد . وقد نحت على هذا النصب الهام مشهد الرب الكنعاني الفينيقي (ملقارت) مع كتابة آرامية تضمنت عبارة : (النصب الذي أقامه برحدد بن طاب ريمون بن حزيون - ملك آرام على شرف سيده ملقارت . وأهداه اليه لأنه حماه وسمع نداءه . .)

إن هذه الكتابة تؤكد العلاقات المختلفة بين دمشق ومدينة صور الفينيقية ومدن الساحل السوري ورغبة الملك الآرامي برحدد الأول في تأكيد مواقفه الودية تجاه تلك الممالك الفينيقية . . وإن أسلوب نحت هذا النصب الهام يدل على فن محلي . أضف الى ذلك أن وصول ملك دمشق برحدد الثاني الى المناطق الشمالية قد تم وفقاً لسياسته الخارجية .

وكان خلاف ملك دمشق برحدد الأول مع العبريين ينحصر في منطقة الجليل والأردن . . . أضف الى ذلك رغبته في تأمين الأسواق التجارية له في منطقتهم . . . ويبدو أن نفوذ دمشق الكبير وضغطها قد استمر على العبريين في عهد ملكهم (عمري ٨٨٦ - ٨٧٥) الذي أصبحت مملكته في آخر أيام عهده تابعة اسمياً لمملكة دمشق الآرامية .

برحدد الثاني (ادد ادري) (نحو ٨٦٥ - ٨٤٢ ق م ؟)

بعد وفاة (برحدد الأول) اعتلى عرش مملكة دمشق ابنه (برحدد الثاني) الذي ورد اسمه في عدد من الوثائق التاريخية القديمة بأشكال مختلفة مثل : (حدد عزر) و (ادد ادري) . . . مما جعل المؤرخين والباحثين يختلفون ويتساءلون فيما إذا كانت هذه أسماء عدة ملوك أو أنها كانت ألقاباً لاسم واحد .

سياسة برحدد تجاه العبريين :

لمس (برحدد الثاني) ضعف (آخاب بن عمري ٨٧٥ - ٨٥٣) الذي كان لزوجته الفينيقية الجميلة (ايزابيل) ابنة ملك صور نفوذ كبير لديه . وعندما ظهر الخلاف بين ملك دمشق و آخاب ، اتجه ملك دمشق برحدد الثاني على رأس قواته الحربية عام ٨٥٧ الى فلسطين يصحبه اثني وثلاثون أميراً من الأمراء الآراميين التابعين له . وعندما وصل جيش برحدد الثاني الى مدينة السامرة حاصرها ، وطوق فيها خصمه (آخاب بن عمري) في عاصمته . ولم يكن لدى (آخاب) جيش كبير ، لأن ملوك دمشق كانوا لا يسمحون بذلك . فوافق (آخاب) على دفع جزية كبيرة للملك دمشق برحدد الثاني الذي يبدو أنه بالغ في الطلب لأسباب ما زال المؤرخون يجهلونها .

اغتنم (آخاب بن عمري) فرصة استراحة خصمه ملك دمشق (برحدد الثاني) ومرحه ولهوه مع مرافقيه الأمراء وأفراد جيشه فأعد خطة غدر ، وهاجمهم بغتة دون أن يكون الآراميون مستعدين لمواجهة هذه المفاجأة الخطيرة التي جعلت (برحدد الثاني) ينهزم في هذه المعركة .

قرر ملك دمشق (برحدد الثاني) العودة من جديد للثأر والانتقام من خصمه الغدار (آخاب) ولكن يبدو أن (آخاب) كان وقتئذ فعلاً مستعداً استعداداً كافياً للقتال ، وذلك بعدما اتخذ كل ما يلزم من أسباب الحذر والحيلة . وعندما التقى الجيشان في أراضى (فيق) بدأ القتال ودام مدة سبعة أيام فانكسر جيش ملك دمشق (برحدد الثاني) لسوء تنظيمه وفساد خططه وعدم جدية عناصره . . .

كان ذلك في فترة بدأ فيها خطر الآشوريين يهدد هذين الفريقين المتحاربين
برحدد الثاني وأخاب بن عمري اللذين وجدا من مصلحتهما أن يتصالحا ،
ويستعدا معاً لقتال الآشوريين الطامعين بهما .

وفي الواقع ، كان الملك الآشوري (شلمنصر الثالث ٨٥٩ - ٨٢٤) قد خلف
أباه (آشور ناصر بال الثاني ٨٨٤ - ٨٥٩) . وكان يتمتع بمواهب عسكرية ،
ويتميز بشجاعة نادرة . وكانت معاملته لأعدائه وحشية ، وقساوته على خصومه
ضارية ومنذ اعتلائه عرش الامبراطورية الآشورية أعلن الحرب عام ٨٥٨
ق . م على مملكة (بيت عديني) في حوض الفرات من مدينة (كركميش / جرابلس)
حتى نهر البليخ وكانت عاصمتها (تل برسيب / تل أحمر) على الضفة الشرقية
لنهر الفرات وتبعد نحو ٢٠ كم في جنوبي جرابلس . وقد استطاع أميرها الآرامي
(أخوني بن عديني) الصمود ومقاومة الآشوريين عام ٨٥٨ و ٨٥٧ و ٨٥٦ ق . م .
ولكن الملك الآشوري قرر القضاء على هذه المملكة الآرامية التي تقف عقبة أمام
الآشوريين وتوسعهم في مناطق سورية الشمالية

أثار هذا الخطر الآشوري الجديد قلق الممالك الآرامية كلها ، مما جعلها
تشكل حلفاً فيما بينها لمواجهة هذا الخطر الآشوري متحالفة ومتكتلة ومتضامنة ،
وهكذا وجدت مملكة بيت عديني الى جانبها عدداً من الممالك الآرامية المتحالفة .
ولكن الملك الآشوري اجتاز نهر الفرات وتابع زحفه وهزم الممالك الآرامية
المتحالفة ضده وفرض الجزية عليها وقضى على مملكة (بيت عديني) عام
٨٥٦ وضمها الى امبراطوريته وأقام فيها مستوطنين من رعاياه الآشوريين ليدعموا
استمرار النفوذ الآشوري فيها وبنى فيها قصراً جعله مقراً له .

معركة قرقر الشهيرة :

أثار هذا العدوان الآشوري الجديد على عاصمة (مملكة بيت عديني) (تل
برسيب / تل أحمر) الآرامية قلق جميع الآراميين وكل الممالك الآرامية والممالك
المجاورة ، مما جعلها تنسى خصوماتها ومنازعاتها وأحقادها القديمة لتتمكن من
صد الخطر الآشوري الجديد المهدد لكيانها .

وأسرع ملك دمشق (برحدد الثاني) فشكل حلفاً ضم اثني عشر ملكاً برئاسته،
وجهاز جيشاً ضخماً ضم ١٢٠٠ عربية حربية ، و ١٢٠٠ فارساً ، و ٢٠.٠٠٠ مقاتل مشاة ٠٠٠ وأسهم بقية الملوك المتحالفين معه في إعداد جيش قوي بلغ عدد جنوده نحو ٦٠.٠٠٠ جندي .

اتجه الملوك المتحالفون بجيوشهم نحو الشمال . فالتقوا بجيش الملك الآشوري (شلمنصر الثالث) في موقع (قرقر) على نهر العاصي في جنوبي جسر الشغور ، فجرت معركة وصفها (شلمنصر الثالث) بكتابة جاء فيها :

« ٠٠٠ إن الغنائم من ملوك ما وراء الفرات ، أي من سنجارا ملك كركميش، وكونداشبي ملك كوماجين وآرام ملك بيت أجوشي ، ولالي ملك مالاطيه ، وخياني ملك مملكة شمال ، كانت هذه الغنائم تتألف من فضة وذهب وورصاص ونحاس وأواني نحاسية حصلت عليها ٠ في الجانب الثاني من نهر الفرات في مدينة يسميها الحثيون Pitru غادرت منطقة الفرات ، واقتربت من حلب ، فكانوا خائفين من المعركة ، فخرجوا على قدمي ، فحصلت منهم على غنائم من فضة وذهب، وقدمت أضحية الى حدد حلب ثم غادرت حلب ، فاقتربت من مدينتي (بارجا) و (عدينو) مدينتي ملك حماه (ارخوليني). احتلّيت عاصمة ارجنا، وحصلت على غنيمة منه وأملاكه وأموال قصوره ٠ ووضعت النار في قصوره ٠ ثم غادرت ارجنا واقتربت من قرقر ، هدمت قرقر عاصمته ، وخربتها وحرقتها ، وقضيت على ١٢٠٠ عربية حربية و ١٢٠٠ حصان و ٢٠.٠٠٠ جندي من جنود (أدد ادري / برحدد الثاني) ملك دمشق و ٧٠٠ عربية حربية و ١٠.٠٠٠ جندي من جنود آخاب و ٥٠٠ جندي من كيليكيا و ١٠.٠٠٠ جندي من مصر و ١٠ عربات حربية و ١٠.٠٠٠ جندي من قيوى قوين Aqua وكيليكيا و ٢٠٠ جندي من جنود ملك أرواد ماتينو بعل و ١٠.٠٠٠ رجل من العربي جندب ٠٠٠ هؤلاء الملوك الاثنى عشر ساعدوه ، ولخوض المعركة قاموا ضدي ٠٠٠ فقتلت ١٤٠٠٠ من الجنود بسلاحهم ، وأمطرت عليهم العاصفة كالرب حدد وبعثرت جثثهم، وملأت السهل بفرقهم القوية ٠ وبالسلاح جعلت دماءهم تسيل ٠٠ » .

نستنتج من هذا النص الآشوري مايلي :

— لقد سحق الملك الآشوري (شلمنصر الثالث) جيوش الممالك الآرامية والامارات

الأخرى المتحالفة معها في معركة (قرقر) الشهيرة عام ٨٥٣ ق م وكبدها خسائر فادحة في الأرواح والعتاد الحربي ، وفرض عليها دفع غرامة كبيرة .

- ولكن هذه المعركة كانت غير حاسمة . ولا عبرة لأقوال الملك الآشوري (شلمنصر الثالث) الذي كان كغيره من الملوك يبالغون في تعظيم انتصاراتهم وخسارة أعدائهم . والدليل على ذلك أن هذا الملك الآشوري لم يستطع الوصول الى حماه أو دمشق أو أية منطقة أخرى من مناطق الجنوب ، بل عاد مكتفياً بما حصل عليه من غنائم ، وما قام به من أعمال الهدم والتخريب وذلك بعدما اصطدم بشدة مقاومة الآراميين وتفانيهم في الدفاع عن مناطقهم .

- لقد أمضى هذا الملك الآشوري (شلمنصر الثالث) خمس سنوات قبل أن يفكر بالعودة من جديد الى غزو أراضي الآراميين ، والاشتباك معهم في حرب عدوانية جديدة مما أعطى ملك دمشق (برحداد الثاني) وحلفاءه الفرصة للاستراحة والاعداد والاستعداد من جديد لمواجهة الأخطار القادمة والمفاجآت العدوانية المجهولة .

- ولكن لم تكن (معركة قرقر) تنتهي حتى عاد النزاع من جديد بين مملكة دمشق والعبريين الى ما كان عليه ، ويرجع الخلاف بين الفريقين حول منطقة راموت جلعاد . . .

وفي الواقع ، شعر (آخاب بن عمري) بقوته الحربية بالنسبة لحلفائه السابقين (ملك دمشق ، وملك حماه . . .) فانتهاز الفرصة المناسبة للانضمام الى الثائرين بعدما تحالف مع حاكم يهوذا (يهو شافاط) ضد ملك دمشق (برحداد الثاني) وقرر معه انتزاع منطقة (راموت جلعاد) من ملك دمشق .

وعندما تقابل جيش ملك دمشق (برحداد الثاني) ضد جيش (آخاب) و (يهو شافاط) واحتدم القتال بين الفريقين استطاع جندي باسل من جنود جيش ملك دمشق (برحداد الثاني) أن يقذف بقوسه سهماً قاتلاً أصاب به (آخاب) بين الذراع والورك فأسقطه جريحاً ، فصاح (آخاب) في سائق عربته الحربية قائلاً : اثن يدك واخرج بي من ساحة المعركة ، فقد أصبت بسهم الموت .

نقل (آخاب بن عمري) فوراً من ساحة هذه المعركة الى السامرة . فانتشر

خبر جرحه القاتل بين صفوف رجاله وجنود جيشه . فذب الذعر في قلوبهم ، وسيطر اليأس على عزائمهم ، فتركوا ساحة المعركة وذلك بعدما فشلوا في انتزاع مدينة (راموت جلعاد) من ملك دمشق (برحدد الثاني) . وبذلك يكون (آخاب بن عمري) في عدوانه كالساعي الى حتفه بظلفه . والجدير بالذكر أنه لم تمض بعد هذه المعركة بضع سنوات حتى قضى نهائياً على سلالة (عمري) على يد القائد (جيهو ٨٤٢ - ٨١٤ ق م) .

وعاد الملك الآشوري (شلمنصر الثالث) الى القيام بحملاته الحربية العدوانية من جديد ضد الممالك الآرامية في سورية ، مما جعل المؤرخين يتساءلون : هل أثار قلق الملك الآشوري (شلمنصر الثالث) انتصار ملك دمشق (برحدد الثاني) على (آخاب) وحليفه (يهوذا فاط)؟؟ أم هل عاد الملك الآشوري (شلمنصر الثالث) الى القيام من جديد بحملاته الحربية العدوانية بعدما استكمل استعداداته الكافية للحرب؟؟ أم هل أراد هذا الملك الآشوري (شلمنصر الثالث) أن يوجه أنظار رعاياه نحو الممالك الآرامية وذلك كي يقضي بغزواته الحربية العدوانية على أسباب الفتن الداخلية المختلفة التي ظهرت فيما بعد في آشور نفسها؟؟

مهما يكن من أمر ، فقد صمدت الممالك الآرامية المتحالفة بزعامه ملك دمشق (برحدد الثاني) وملك حماه (آرخوليني) أمام الغزوات الآشورية عام ٨٤٩ و ٨٤٨ و ٨٤٥ ق م وكانت الخسائر في الواقع كثيرة وكبيرة لأن الملك الآشوري شلمنصر الثالث كان يستعمل في قضائه على خصومه وأعدائه مختلف الوسائل والأساليب العنيفة (كالمذابح ، والقضاء النيران ، والهدم والتخريب وأعمال السلب . . .) ومع هذا كله فقد فشل الملك الآشوري (شلمنصر الثالث) في حملاته الحربية العدوانية الجديدة ضد الممالك الآرامية في تحقيق أهدافها كلها .

وبعدما خلف (يورام Joram ٨٥٢ - ٨٤٢ ق م) (آخاب بن عمري) أصبحت علاقات ملك دمشق (برحدد الثاني) مع (يورام) تارة حسنة وأخرى متوترة وغير ودية . وتدل الوقائع أن (يورام) كان بمثابة ملك مرتبط بملك دمشق (برحدد الثاني) وتابع له . وقد بلغت سطوة ملك دمشق (برحدد الثاني) وقوة هيئته ونفوذه درجة جعلت (يورام) يتوهم أن ملك دمشق (برحدد الثاني)

يفتنم الفرص المناسبة ليتخذ مبرراً ما يمكن أن يجعله سبباً لشن حرب ضده والقضاء عليه . وتدلنا على ذلك قصة القائد الآرامي (نعمان) الذي كان أحد قواد جيش ملك دمشق (برحدد الثاني) ومقرباً منه ، وكان مصاباً بالبرص وحدث أن سمعت زوجته من أسيرة عندها أنه يمكن شفاؤه في (السامرة) . فأخبر القائد (نعمان) ملكه بالموضوع . فوافق ملك دمشق برحدد الثاني على سفر قائده (نعمان) الى السامرة في سبيل الاستشفاء وأعطاه رسالة جعلت (يورام) ملك السامرة بعد قراءتها يمزق ثيابه قلقاً وخوفاً ويلتفت الى رجاله قائلاً : هل أنا رب أميت وأحيي ليطلب مني ملك دمشق أن أشفي له انساناً من البرص؟؟ اعلموا أن ملك دمشق يفتش عن سبب للنزاع ضدي .

ويبدو أن ملك دمشق (برحدد الثاني) قد أرسل عرباته الحربية وفرسانه وجيشه لحصار السامرة التي كانت تعاني أزمة مجاعة كبرى . ويجهل المؤرخون الأسباب الحقيقية التي جعلت ملك دمشق يقوم بهذه الحملة الحربية . وبحسب رأي أستاذنا (دويون سومير) يبدو أن (يورام) استطاع أن ينتزع (راموت جلعاد) من سلطة ملك دمشق (برحدد الثاني) في إحدى الفرص المناسبة . مما يفسر أن من أسباب الحروب موضوع المدن والمناطق المتنازع عليها .

وفي أواخر أيام حياة ملك دمشق (برحدد الثاني) أصيب بمرض قضى عليه وأنهى حياته بعدما كان قد وقف كالطود أمام كل حملات الملك الآشوري (شلمنصر الثالث) الذي كان يقود بنفسه قواته الحربية الكبيرة الشأن التي لم يسمع بمثلها من قبل . وقد ذكر بعض المؤرخين أن عدد جنود الجيوش الآشورية التي كانت تقاتل ملك دمشق (برحدد الثاني) بلغ نحو ١٢٠٠٠٠ جندي . . . فلا عجب بعد هذا كله إذا قيل عن ملك دمشق (برحدد الثاني) :

(إن برحدد الثاني كان مقاتلاً من الطراز الأول وان تجاهل عظمته كل من الآشوريين والعبريين على السواء) .

حزائيل : (نحو ٨٤٢ - ٨٠٥ ق.م ؟) .

بعد وفاة (برحدد الثاني) اعتلى (حزائيل) عرش المملكة الآرامية في دمشق . وقد تضمنت كتابة الملك الآشوري (شلمنصر الثالث) عبارة (. . . حزائيل بن شخص ما) مشيراً بذلك الى أنه لم يكن من العائلة المالكة .

كان حزائيل قائداً يتميز بمواهب خاصة وعزيمة قوية لا تلين مما جعله يعتبر من أعظم الملوك الآراميين . فمنذ اعتلائه العرش الملكي خاض الحروب ضد العبريين الذين استطاعوا أن ينتزعوا (راموت جلعاد) من مملكة دمشق في أواخر عهد سلفه (برحدد الثاني) . وقد تحالف ضده كل من (يورام بن آخاب) و (آخازيا) حاكم يهوذا وذلك في سبيل الاحتفاظ باحتلالهم (راموت جلعاد) . ولكن ما كادت المعركة تستخدم بين الفريقين حتى استطاع جنود من جيش (حزائيل) أن يصيبوا (يورام بن آخاب) بجراح خطيرة نقل على أثرها فوراً الى جزريل Jezreel لمداواته فيها . في حين أن حليفه (آخازيا) ذهب الى هذه البلدة نفسها ليعود حليفه الجريح الذي ترك مهمة متابعة الحرب الى قواده . ولكن أحد هؤلاء القواد (جيهو ٨٤٢ - ٨١٤ ق م) نصب نفسه ملكاً عوضاً عن ملكه (يورام بن آخاب) واتجه الى جزريل وقضى نهائياً على حياة ملكه (يورام) وأسرته الحاكمة .

كانت هذه الفتن المختلفة التي يتخبط بها العبريون عصرئذ قد سهلت استرجاع (حزائيل) بلدة (راموت جلعاد) والحاقها الى مملكة دمشق الآرامية . ولكن الملك الآشوري (شلمنصر الثالث) قلق من تزايد قوة ملك دمشق (حزائيل) وكثرة نفوذه فقرر عام ٨٤١ ق م أن يهاجمه للقضاء عليه بحملة حربية عدوانية أعدها ووصفها قائلاً : « في السنة الثانية عشرة من حكمي ، اجتزت الفرات للمرة السادسة ، فجهز حزائيل جيشه وأعدّه ، فكان جبل صنير بمثابة حصن له ، حاربته فهزمته ، وقتلت ستة آلاف من جنوده المسلحين واستوليت على ١١٢١ عربة حربية ، وأربعة وسبعين حصاناً ومعسكره في آن واحد . فهرب للنجاة بنفسه ، فلحقت به ، وحاصرته في عاصمته دمشق . وخربت الكروم ، وسرت حتى جبال حوران ، وخربت وحرقت مدنه التي لا تعد ، وحصلت على غنائم كثيرة ، وسرت الى جبل باليراسي ، فوضعت في هذا المكان صورتي الملكية ، وتلقيت في الوقت نفسه غنائم من الصوريين والصيداويين وجيهو ... »

وهكذا نجد الملك الآشوري (شلمنصر الثالث) يهاجم ملك دمشق (حزائيل) لأسباب مختلفة منها : اقتصادية، وأهداف توسعية ، ورغبة في القضاء على هذه

القوة الآرامية الجديدة المتنامية التي من شأنها أن تثير قلق الملك الآشوري
(شلمنصر الثالث) .

ولكن هذا الملك الآشوري (شلمنصر الثالث) قد أخفق من جديد في سحق قوة
مملكة دمشق رغم تمكنه من زحفه من منطقة الفرات حتى مناطق الساحل
السوري .

ولم تمض سوى ثلاث سنوات على عدوان الملك الآشوري (شلمنصر الثالث)
على مملكة دمشق حتى عاد من جديد فجهز جيشاً قوياً توجه به عام ٨٣٨ ق م
لقتال ملك دمشق (حزائيل) في حملة حربية عدوانية وصفها قائلاً :

في السنة الحادية والعشرين من حكمي ، اجتزت نهر الفرات وسرت الى
مدن حزائيل ملك دمشق ، ففتحت أربعة من مدنه ، وحصلت من الصوريين
والصيداويين ٠٠٠ على غنائم ٠٠٠

يستنتج المؤرخون أن ملك دمشق (حزائيل) رغم ما تحمله من خسائر أثناء
قيامه بصدد الحملتين الحربيتين الآشوريتين ٨٤١ و ٨٣٨ ق م اللتين شنهما ضد الملك
الآشوري (شلمنصر الثالث) في فترة زمنية قصيرة فان حزائيل استطاع مع ذلك
أن يصمد ، ويجبر هذا الملك الآشوري على العودة من حيث أتى حاملاً معه علائم
الفشل في تحقيق أهداف حملاته العدوانية . وحتى نهاية حكمه لم يفكر الملك
الآشوري (شلمنصر الثالث) بعدئذٍ بمهاجمة دمشق .

من اصلاحات حزائيل :

اهتم ملك دمشق حزائيل بتنظيم جيشه وتقويته وتزويده بكل ما يلزم من
معدات حربية ، كما اهتم باعادة بناء ما تهدم من مدنه ٠٠٠ وذلك في فترة انشغال
الآشوريين بقضايا مختلفة كتدخل شلمنصر الثالث بين الأخويين البابليين ،
واضطدامه في نزاعات مختلفة مع مملكة اورارتو ، وارساله الحملات الى منطقة
زاغروس ونايري وكيلىكيا عام ٨٣٩ و ٨٣٤ و ٨٣٢ ق م وبلاد تبال في شمالي
طوروس ، ومالاطيه عام ٨٣٦ و ٨٣٥ ق م وحملة عسكرية لاختاد ثورة في
منطقة العمق قلبت (لوبرانا) صديق الآشوريين عام ٨٣٠ ق م ٠٠٠ ثم
اندلعت ثورة داخلية في آشور نفسها قادها ابنه الأكبر (آشور دانين بال) عام

٨٢٢ ق٠م وذلك لأن ولاية العهد قد أسندت الى الابن الأصغر (شمشي حدد الخامس) الذي قام يحارب في سبيل مصلحة أبيه اللاجئ الى مدينة (كلح / نمرود) فأمضى سبع سنوات متوالية في سبيل إخماد هذه الثورة الداخلية وتوطيد دعائم الحكم الآشوري ، ثم انصرف لقتال الميديين والبابليين ٠٠٠ حتى وفاته . فخلفه ابنه (حدد نيراري الثالث) الذي أصبحت أمه (سمير اميس) وصية عليه حتى عام ٨٠٧ ق٠م فكانت الفتن والثورات تندلع في كل مكان ، وتهدم كيانه مملكة آشور مما سلبها هيبتها القديمة أمام أنظار ملوك وأمراء الممالك الآرامية التي أخذت تتوسع وتزدهر وتشهد عصرها الذهبي . وانتشرت شهرة ملك شمشا ، (كلامو) وغيره .

انتهز ملك دمشق (حزائيل) هذه الفرصة الذهبية ، فاتجه بجيشه لقتال (جيهو) واسترجاع منطقة (جلعاد) . ووسع مملكته في مناطق شرقي الأردن حتى نهر الموجب (آرنون) الذي يصب في البحر الميت ، وتوسع في فتوحاته حتى سهل فلسطين الساحلي ، وذلك في سبيل الاستيلاء على طرق التجارة العالمية الآتية من مصر وشبه الجزيرة العربية .

واتجهت أنظار ملك دمشق (حزائيل) نحو (اورشليم) فلم يجد (يواس) بدأ من جمع كل ما كان في المعبد ، وكل ما حفظ في خزائنه من الذهب والفضة ، وتقديمه الى (حزائيل) لقاء انسحابه وعودته الى عاصمته .

وبلغ من شدة سيطرة ونفوذ حزائيل على جيرانه أنه كان يجد من تسليحهم . وقد وصفت شدة ضغط (حزائيل) عليهم بأنه جعلهم (كالتراب المتصاعد على الأرجل) . وقد وصفه المؤرخ فيليب حتي بأنه (أعظم محارب في التاريخ الآرامي) . كل هذا أسهم في جعل أعداء (حزائيل) وخصومه ينظرون الى ملك الآشوريين كمحرر لهم من سلطة ملك دمشق حزائيل ، ومنقذ لهم من متطلبات حزائيل وارغامه إياهم على دفع غرامات ثقيلة .

وكان (يهو آخاز ٨١٤ - ٧٩٨ ق٠م) قد خلف (جيهو ٨٤٢ - ٨١٤ ق٠م) دون أن تكون لديه القوة العسكرية الكافية ، ولم تكن لديه سوى ١٠ عربات حربية ، و ٥٠ فارساً و ١٠٠٠ جندي مشاة .

برحدد الثالث (نحو ٨٠٥ - ٧٧٠ ق م ؟)

اعتلى (برحدد الثالث) عرش المملكة الآرامية في دمشق بعد وفاة والده
(حزائيل) ، فتابع سياسة أبيه المتضمنة ما يلي :

١ - تقوية الجيش الآرامي .

٢ - فرض احترام مملكة دمشق .

٣ - استمرار فرض الغرامة على العبريين في الجنوب .

كل ذلك أثار حقد الممالك الصغيرة والكبيرة على مملكة دمشق الآرامية
المجاورة لهم والتي كانت ما زالت قادرة على صد حملات الآشوريين الحربية
العدوانية وسحق الخصوم والأعداء من ملوك وأمراء الممالك المجاورة .

وعندما اعتلى (ذاكر) عرش مملكة حماه الآرامية ، أخذ يتوسع على حساب
أراضي الممالك المجاورة . وقام بفتح (لعش) وأقام في عاصمتها (خزرك) .
مما أثار قلق الملوك والأمراء الآخرين من تزايد قوة (ذاكر) ونفوذه وفتوحاته
وحملاته التوسعية التي قلبت مبدأ التوازن بين الممالك الآرامية .

شكل (برحدد الثالث بن حزائيل) حلفاً ضد (ذاكر) ملك حماه . وضم هذا
الحلف الآرامي الجديد ستة عشر ملكاً قرروا قتال ملك حماه (ذاكر) والتصدي
لحملاته التوسعية التي يدعمها الآشوريون .

وقد تساءل المؤرخون عن الأسباب الحقيقية لهذا النزاع بين (ذاكر) وبقية
الآراميين .

— هل كان سبب ذلك النزاع هو توسع ذاكر وزيادة قوته ونفوذه مما أثار ضده
حقد وقلق جيرانه ؟

— أم هل كان السبب الحقيقي لذلك النزاع هو سياسة ذاكر الخارجية وتحالفه
مع الآشوريين على حساب جيرانه الآراميين ؟

مهما يكن من أمر فقد تشكل حلف الممالك الآرامية ضد (ذاكر) ملك حماه
في عهد الملك الآشوري (ادد نيراري الثالث ٨٠٩ - ٧٨٢ ق م) الذي كان عليه
أن يعيد إلى آشور سيطرتها ونفوذه وهيبته الدولية . ورأى أنه لتحقيق ذلك

لا بد له من خوض الحرب ضد الممالك الآرامية التي تزايدت قوتها وتأكدت أهميتها في المنطقة . فدامت هذه الحرب نحو عشرين سنة كانت فيها آشور فعلاً ضعيفة جداً تعاني كثيراً من الفتن والاضطرابات المختلفة والتمزق الداخلي وغيره . . مما أزال حذر الممالك الآرامية وخوفها من قوة الآشوريين وحملاتهم الحربية العدوانية . فظهرت بين هذه الممالك خلافات محلية تحولت الى منازعات جدية وخطيرة أظهرت (ذاكر) ملك حماه منعزلاً عن بقية الممالك الآرامية بل وخصماً لها وعدواً لدوداً لاعتماده على الآشوريين ودعمهم .

هاجمت جيوش الممالك الآرامية المتحالفة بزعامة ملك دمشق مدينة (خزر) عاصمة مملكة (لعش) وحاصروها بل وطوقوا ملك حماه (ذاكر) فيها . ولكن ذلك لم يدم طويلاً ، لأن الممالك الآرامية المتحالفة ضد (ذاكر) اضطرت أن ترفع الحصار عن (خزر) وتنسحب منها بعدما ظهر لهم الخطر الآشوري من جديد في عهد (ادد نيراري الثالث) الذي اهتم بقيادة الحملات الحربية الآشورية ضد الممالك الآرامية ضد حليفه ذاكر فكان انسحاب جيوش الممالك الآرامية المتحالفة بمثابة نصر لملك حماه (ذاكر) خلده عام ٨٠١ ق.م بنصب أقامه للرب (ايلووير) من أسماء وألقاب رب المطر حدد عشر عليه السيد (بونيون) عام ١٩٠٣ في تل أفيص في منطقة تبعد نحو ٤٠ كم جنوب غربي حلب . فنقل هذا النصب الى متحف اللوفر وقام العلماء المختصون بقراءة نص كتابته الآرامية كما يلي :

رفع الملوك الآراميون الحصار عن خزر عاصمة لعش ، وانسحبوا الى عواصمهم وذلك عندما قاد الملك الآشوري (ادد نيراري الثالث) حملة حربية ضد مدينة أرباض عاصمة مملكة بيت أجوشي عام ٨٠٥ وضد عزاز عام ٨٠٤ . وضد يعلي عام ٨٠٣ وحملة ضد مدن الساحل عام ٨٠٢ . .

ويقول الملك الآشوري في كتابته : (. . . من ضفاف نهر الفرات أخضعت بلاد خطي - سورية الشمالية - وعموروكلها - أي سورية الوسطى - وصور وصيدا ، وبلاد عمري وايدوم وفلسطين حتى البحر غرباً ، وفرضت عليها ضرائب وجزية ، وسرت ضد دمشق ، وحاصرت (مرثي برحدد الثالث) في عاصمته دمشق ، فقتله خوفه من غضب سيدي آشور ، فخرّ عند قدمي ، وحصلت على

٢٣٠٠ تالنت فضة و ٢٠ تالنت ذهب و ٢٠٠ تالنت نحاس و ٥٠٠٠ تالنت من الحديد ، وأقمشة مزركشة ، وأقمشة كتانية ، وسرر عاجية ، ومقاعد عاجية مزينة بالذهب ومطعمة بالأحجار الكريمة، وخزنته وأمواله بكميات كبيرة في عاصمته وسط قصره) ٠٠

وهكذا تحملت دمشق ضربة قاسية وخسارة كبيرة لأنها كانت زعيمة الممالك المتحالفة وقلب المقاومة ضد الآشوريين الذين حرصوا على السيطرة عليها ليتمكنوا من السيطرة على بقية الممالك الآرامية وغيرها ٠٠٠ والوصول حتى مصر جنوباً . واختلف المؤرخون والباحثون في موضوع لفظ (ماري/ مرئي) الذي ورد في كتابة هذا الملك الآشوري (ادد نيراري الثالث) . وذهبوا في ذلك مذاهب مختلفة كما يلي :

– هناك من جعل لفظ (ماري/ مرئي) اسم أحد ملوك دمشق ، وان هذا الملك حكم بعد (برحدد الثالث) لأن الآشوريين تميزوا بالدقة في نقل الأسماء وتدوين الكتابات والنصوص الرسمية والتاريخية .
– وهناك من اعتبر لفظ (ماري/ مرئي) مشتقاً من لفظ (مار) أي سيد .
وأن لفظ (ماري/ مرئي) ليس سوى لقب مثل لفظ (السيد أو سيدي) .
لقد أدت كثرة الحملات الحربية الآشورية العدوانية ضد دمشق الى إضعافها وعجزها أخيراً عن حماية حدودها ، وحرمانها الأموال والموارد المختلفة ٠٠٠ بل وأسهمت في تمرد الممالك الصغيرة عليها .

وذهب (يواص ٧٩٨ – ٧٨٢ ق م) الى أبعد من ذلك ، فأخذ يهاجم مملكة دمشق نفسها ويشن الحملات الحربية العدوانية ضدها ، واستطاع بعد ثلاث حملات عليها أن يرفع سيطرة ملك دمشق (برحدد الثالث) عن بعض المدن التي كانت دائماً تابعة لمملكة دمشق الآرامية . واستمر عدوان العبريين على حدود مملكة دمشق في عهد (يربعام الثاني ٧٨٣ – ٧٤٣ ق م) .

وبعدما اعتلى عرش آشور (شلمنصر الرابع ٧٨٢ – ٧٧٢ ق م) اهتم بتوجيه ست حملات حربية عدوانية ضد مملكة اورارتو التي كانت قد تزايدت قوتها الحربية حتى صارت تشكل خطراً على شمال بلاد آشور كما انصرف الى ارسال

حملة حربية الى جبال الأمانوس عام ٧٧٧ وحملة أخرى ضد ملك دمشق (يرحد
الثالث) عام ٧٧٣ .

وفي عهد الملك (آشوردان الثالث ٧٧٢ - ٧٥٤) شهدت امبراطورية
الآشوريين أزمت مختلفة أضعفت السبطة الملكية الآشورية في فترة تزايد الأخطار
من كل مكان من جهة اورارتو ، والميديين ، أضف الى ذلك الفتن والثورات الداخلية
والأمراض الوبائية المختلفة .

ورغم كل هذا فقد هاجم الجيش الآشوري (خاتاريكا (خزرك) (أفيس) عام
٧٦٥ و ٧٥٠ وذلك لأهمية موقعها على نهر العاصي ، ولكن هذا الجيش لم يتجراً
على التقدم نحو مملكة حماه أو مملكة دمشق اللتين زال قلقهما من قوة الآشوريين
الذين كانت بلادهم تتخبط في أزمت وفتن داخلية مختلفة .

واستمر ضعف الامبراطورية الآشورية في عهد (نيراري الرابع ٧٥٤ ق م)
الذي هاجم ملك أرباض (متعال) وأخضعه وأجبره على عقد معاهدة تلزم
(متعال) بوضع كل امكاناته تحت تصرفه في حالة اعلان (نيراري الرابع) الحرب
على عدو ما .

وكان (متعال) ملك أرباض و (برجايا) ملك كاتكا / تل برسيب عقدا
معاهدة تحالف بينهما أوضح الأستاذ دوبون سومير أن نصها يتضمن التحالف
والتضامن بينهما وان من لا ينفذ التزامه فان الأرباب ينتقمون منه ومن أسرته
ومجتمعه . . . الخ . . . وكان لهذه المعاهدة علاقة كبيرة بالمتغيرات الجديدة
عصرئذٍ ضد الآشوريين ، ولم تشترك مملكة دمشق الآرامية في هذه المعاهدة
وذلك بسبب ضعفها من كثرة الحملات الحربية العدوانية الآشورية ضدها من
جهة وبسبب بعدها عن الخطر المتوقع من جهة أخرى .

وكان من نتائج ضعف الامبراطورية الآشورية في عهد (آشور نيراري الرابع)
اندلاع ثورة داخلية في بلاد آشور عام ٧٤٥ ق م و قلب حكم (آشور نيراري
الرابع) ورفع الى عرش الامبراطورية قائداً جديداً هو (تجلات فلاسر الثالث
٧٤٥ - ٧٢٧ ق م) الذي كان يتمتع بمواهب عسكرية متميزة وطموحات
كثيرة وأهداف بعيدة . . .

رصين ٧٥٠ - ٧٣٢ ق م

اعتلى رصين عرش مملكة دمشق الآرامية في عهد الملك الآشوري (تجلات فلاسر الثالث) الذي قام عام ٧٤٣ ق م بشن حرب شرسة على مملكة اورارتو وحلفائها الملوك والأمراء الآراميين وعلى رأسهم (متعال) ملك أرباض في كوماجين وانتهت هذه الحرب بانتصار (تجلات فلاسر الثالث) وهزيمة ملك اورارتو (ساردور) ، والثأر من ملك أرباض (متعال) الذي سقطت عاصمته عام ٧٤٠ ق م فجعلها تجلات فلاسر الثالث مقاطعة آشورية .

ويبدو أن ملك دمشق (رصين) ، وملوك صور وكوماجين وكيليكيا وكركميش كانوا عاجزين وقتئذٍ عن مقاومة هذا القائد الآشوري العنيف ، ففضلوا تقديم هداياهم اليه في أرباض دون أن يتنازلوا فيما بينهم عن فكرة الاستعداد للقتال والنضال . وأن موقفهم جعلهم يؤسسون حلفاً جديداً فيما بينهم . وكان زعيم هؤلاء الملوك المتحالفين ضد الآشوريين ملك شمال (عزيزو) الذي اعتلى عرش مملكة شمال عام ٧٣٩ ق م وذلك بعدما قام بثورة على الملك (بارسور بن بنامو) وقتله لتردده في الانضمام الى هذا الحلف ضد الآشوريين .

نظم عزيزو ملك شمال صفوف القوات المحاربة ضد الآشوريين . وكان الملك الآشوري (تجلات فلاسر الثالث) قد بادر عام ٧٣٨ ق م بالهجوم على عاصمة مملكة (العمق / اونقو) وجعلها إحدى المقاطعات الآشورية ، ثم اتجه (تجلات فلاسر الثالث) للقاء ملك شمال (عزيزو) وحلفائه الملوك والأمراء الآراميين . ففتح مدناً في شمال الساحل السوري ، وفي منطقة حماه . وهزم ملك شمال (عزيزو) ثم قتله . فحل محله على عرش مملكة شمال (بنامو الثاني) . وتضمنت حوليات الملك الآشوري تجلات فلاسر الثالث قائمة بأسماء أولئك الملوك الذين خضعوا لدفع الجزية إليه وهم :

- | | |
|--------------------------|---------------------------|
| - ملك كوماجين : كوشتاشبي | - ملك كيليكيا : اوروكي |
| - ملك دمشق : رصين | - ملك كركميش : بيزيريس |
| - ملك السامرة : مناحيم | - ملك حماه : انيل |
| - ملك صور : حيرام | - ملك شمال : بنامو الثاني |
| - ملك جبيل : شفاط بعل | - الملكة العربية . |

وهذا يدل على أن الملك الآشوري (تجلات فلاسر الثالث) استطاع أن يبسط نفوذه على مناطق واسعة جداً تمتد من أراضي كبادوكيا وكيليكيا في آسيا الصغرى حتى أراضي صور والسامرة ودمشق والمنطقة العربية في الجنوب .
ويلاحظ إدراج اسم ملك دمشق (رصين) في رأس قائمة أولئك الملوك والأمراء المتحالفين ضد الآشوريين .

ولكن ، إذا كان ملك شمال الجديد (بنامو الثاني) قد أصبح حليفاً مخلصاً للآشوريين بل عميلاً لهم فخوراً بذله ، يمشي في ركاب الملك الآشوري (تجلات فلاسر الثالث) ، ويصحبه في حملاته الحربية العدوانية ٠٠٠ فان ملك دمشق (رصين) قد بذل من جديد جهوداً جبارة في سبيل بعث الحلف الآرامي والممالك المجاورة وذلك لصد خطر العدوان الآشوري المتوقع حدوثه .

انضم إلى ملك دمشق (رصين) ملك السامرة (فقح) ، أما ملك يهوذا (آحاز) فقد رفض الانضمام إلى هذا الحلف الجديد الذي شكله ملك دمشق (رصين) وملك السامرة (فقح) . مما أثار النزاع من جديد بين هذين الفريقين . وكان لا بد لملك دمشق (رصين) ، وملك السامرة (فقح) من الهجوم على أورشليم والاستيلاء عليها ، وطردها (آحاز) منها ، وجعل الزعيم الآرامي (برطاب ايل) ملكاً عليها عوضاً عن (آحاز) .

وهكذا فقد قام كل من ملك دمشق (رصين) وملك السامرة (فقح) بحصار مدينة أورشليم التي كان فيها (آحاز) . وتمكنوا من أن ينتزعا منه بلدة (ايلات) . مما جعل الخوف يستولي على ملك يهوذا (آحاز) ويتوقع سوء المصير الخطير الذي ينتظره . فلم يجد بداً من جمع كل ما لديه من ذهب وفضة ، أرسله إلى الملك الآشوري (تجلات فلاسر الثالث) مع رسالة ملكية خاطبه فيها بقوله :

(.....) إني عبدك ، انني ابنك ، تعال انقذني من ملك دمشق رصين ، وملك السامرة فقح اللذين قاما ضدي (.....)

اجتاح جيش الملك الآشوري (تجلات فلاسر الثالث) بكل شراسة ست عشرة مقاطعة من مقاطعات مملكة دمشق و / ٥٩١ / مدينة من مدنها وقراها ومزارعها التي صمدت أمام القوات الآشورية الغازية مدة عامين ٧٣٣ - ٧٣٢ ق م عانت

خلالهما معاناة فواجه الحروب وكوارثها ومآسيها وجرائم القتل والسلب والنهب وقطع الأشجار وتخريب الحقول والبساتين والمزارع أضف الى ذلك معاناة الجوع والعطش والبؤس واليأس ...

اضطر ملك دمشق (رصين) أخيراً أن ينسحب الى عاصمته (دمشق) نفسها ويلتجئ فيها ، فلحق به الملك الآشوري (تجلات فلاسر الثالث) وحاصره فيها حصاراً محكماً بعدما قضى على غوطة دمشق وأشجارها ثم استولى أخيراً على مقره الملكي في (عدره) . وفي عام ٧٣٢ ق م سقطت في أيدي القوات الآشورية المعادية بعدما ضاعف الملك الآشوري من عدد هجماته على أسوار دمشق التي سقط تحتها قتيلاً ملك شمال (بنامو الثاني) الذي جعل من نفسه تابعاً للملك الآشوري (تجلات فلاسر الثالث) .

دخل الملك الآشوري (تجلات فلاسر الثالث) مدينة دمشق دخول الفاتحين ، فقتل ملكها (رصين) ونفى كثيراً من سكانها الى (قير) ، وقضى على استقلال دمشق ومكانتها السياسية والدولية وفعاليتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وجعلها من مقاطعات امبراطوريته الآشورية ، يحكمها حكام آشوريون . وبسقوط دمشق في أيدي الآشوريين عام ٧٣٢ ق م زالت أكبر دعامة من دعائم مقاومة الآراميين ضد أعدائهم . وانتهى عز سيادتهم في هذه المنطقة التي سادوها ، وغابت شمس حريتهم واستقلالهم السياسي .

حضارة دمشق في عهود الآراميين :

لئن طويت صفحة الحكم الآرامي من كتاب تاريخ دمشق دون أن ينجح ذلك العهد الآرامي في تحقيق وحدة الممالك الآرامية ، فانه مع ذلك ظهرت حضارة متميزة قامت على أسس الحضارات السابقة فأنارت بنور مشعلها تلك العصور وأسهمت في تنمية الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تأثرت بها فيما بعد الحضارات اللاحقة .

وكان من نتائج ما شهدته دمشق من غزوات مختلفة ، وماعانته من نكبات وهزات أرضية أننا حرمانا من كثير من الآثار التي أبدعتها أجيال تلك الحضارة الآرامية التي ازدهرت في دمشق وبقية الممالك الآرامية وشملت مختلف ميادين

الحياة • فلم يبق أماننا سوى الرجوع الى ما بقي لنا من تلك الآثار لتساعدنا على حسن فهم تلك العهود الغابرة، وتسهم مع النصوص والكتابات المختلفة والدراسات الاختصاصية في اعطائنا لمحة عن تلك الحضارة الآرامية الزاهرة •

بناء المدن الآرامية وتنظيمها :

إن ما تضمنته كتابة تجلات فلاسر الثالث أنه (اجتاح ست عشرة مقاطعة تابعة لمملكة دمشق مع / ٥٩١ / مدينة ٠٠٠) يلفت الانتباه ويثير التساؤل :

إن هذا العدد الكبير من المدن يدل على مدى أهمية مملكة دمشق ، ولا بد أن الآراميين شيدوا قسماً كبيراً من هذا العدد الكبير من المدن في هذه المنطقة وذلك لايواء الأفواج الكبيرة من الآراميين الذين استقروا فيها وتكاثروا وربطوا مصيرهم بها وأسهموا في اعمارها وازدهارها • والجدير بالذكر أن كثيراً من أسماء المدن والقرى مازالت حتى الآن تعرف بأسمائها العربية الآرامية القديمة ٠٠٠

وقد شقت الطرق في مدينة دمشق وغيرها لتؤدي الى المعبد والأسواق المختلفة وربما لم يكن لمدينة دمشق وقتئذٍ مخطط تنظيمي مسبق • وكانت المباني تشيد لتلبي أغراضها السكنية والاقتصادية والثقافية وغيرها وربما كانت متداخلة ومتشابكة تطل على طرق متعرجة •

فنون العمارة

ازدهرت في مملكة دمشق الآرامية فنون العمارة العسكرية والدينية المختلفة •

فنون العمارة العسكرية : تجلت فنون العمارة العسكرية في بناء أسوار المدن وأبوابها وحصونها المنيعة وأن نصوص ملوك الآشوريين تتحدث عن صمود أسوار دمشق أمام هجمات الجيوش الآشورية وحملاتها الحربية العدوانية •

ولا بد أن لأسوار مدن مملكة دمشق أبواباً قوية صمدت أمام هجوم الأعداء وحملاتهم الحربية ، كما كانت تستقبل القادمين اليها لأغراض سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية • وتودعهم ، وكانت هذه الأبواب تؤدي

الى الطرق العالمية الممتدة من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ...
أضف الى ذلك الطرق الأخرى المؤدية الى المدن والقرى والمزارع المختلفة التابعة
لمملكة دمشق والمحيط بها .

فنون العمارة الدينية :

معبد حدد الآرامي الكبير : تبنى الآراميون عبادة (حدد) رب المطر والرعد
والسيول ... لأن اقتصادهم مرتبط بالزراعة ، وازدهار الزراعة مرتبط
بكميات مياه الأمطار التي ترفد الأنهار والينابيع والعيون والآبار المختلفة ...
مما جعل للرب (حدد) أهمية مقدسة ومتميزة . فبنى له الآراميون معبداً
كبيراً شكل نواة مدينة دمشق الآرامية . وربما كانت أهمية هذا المعبد لا تقل عن
أهمية معبد أورشليم في عصر كانت فيه دمشق سيدة المنطقة وزعيمة الممالك
الآرامية فكان لا بد لها من معبد ضخم يليق بمعبودها (حدد) ومركزها الدولي
عصرئذ . ولسنا ندري فيما إذا كان معبد حدد الآرامي الكبير قد حل محل
معبد سابق أضفى على هذه المنطقة صفة القداسة وجعل القوافل تقيم قربهِ وتنعم
بما تتميز به منطقته من مياه ونباتات وقدرات للتبادل التجاري وإقامة الأسواق
المؤقتة ثم الدائمة ... مما أسهم في تشكيل أقدم تجمع بشري قرب المعبد . وبقيت
معلوماتنا عن معبد حدد الآرامي الكبير غامضة حتى عام ١٩٤٩ عندما قام السادة
المسؤولون بعملية تدعيم وتقوية أساسات الجدران الخارجية للجامع الأموي الكبير
بدمشق عام ١٩٤٩ فإذا بهم يكتشفون حجراً بازلياً آرامياً هاماً من أحجار كانت
تزين معبد حدد الكبير ، نقل الى المتحف الوطني بدمشق يبلغ طوله ٨٠ سم
وارتفاعه ٧٠ سم ويتراوح سمكه بين ٣١ - ٥١ سم نحت عليه مشهد (أبو
الهل) يمشي الى جهة اليسار ، وله أجنحة مزدوجة ، وذقن طويلة ، ويعلى
رأسه تاج مزدوج وسطح وذلك بأسلوب فني متأثر بالأسلوب الفينيقي والمصري ..
مما جعل علماء الآثار ومؤرخي الفن يقارنونه بمشاهد مثيلة تزين لوحات
عاجية مكتشفة في موقع (أرسلان طاش) عام ١٩٢٨ كانت جزءاً من عرش ملوك
دمشق الآراميين عليها اسم ملك دمشق (حزائيل) .
والجدير بالذكر أن ملك يهودا (آحاز) الذي أتى الى دمشق عام ٧٣٢ ق م
ليعرب عن طاعته للملك الآشوري تجلات فلاسر الثالث شاهد في هذه المناسبة في

معبد حدد الكبير المذبح الجميل الذي أثار إعجابه • فوصفه للفنان (اوربه) طالباً منه استصناع مذبح مشابه يخصص لمعبد أورشليم •

العمارة المدنية :

ورد في كتابة (ادد نيراري الثالث) أنه حصل على غنائم من ملك دمشق برحدد الثالث في عاصمته وسط قصره • وإذا كنا لا نعلم شيئاً عن هذا القصر الملكي الآرامي الذي ربما كان قريباً من معبد حدد ، وربما خصصت إحدى قاعاته للاجتماعات والاستقبالات والمراسم الرسمية ••• وخصصت غرف للكتاب الذين كان عليهم اعداد الرسائل الرسمية والحواليات والأوامر الملكية والعقود وحفظ الأرشيف وربما أسهمت قوة دمشق الحربية وازدهارها الاقتصادي في زيادة الفعاليات الرسمية في هذا القصر ، والاهتمام بالنواحي الجمالية والبذخ الذي تشهد به بقايا عرش ملك دمشق حزائيل ••

فنون النحت على الحجر والعاج ••

إن المنحوتة البازلتيّة المكتشفة في الجهة الشرقية من أساسات الجدار الشمالي للجامع الأموي الكبير عام ١٩٤٩ طول ٨٠ سم وارتفاعه ٧٠ سم وسمكه ٣١ - ٥١ سم • نحت عليه مشهد (أبو الهول) يمشي الى جهة يسار المشاهد وله أجنحة مزدوجة ، ولحية طويلة ، ويعلو رأسه تاج مزدوج مسطح واللوحات العاجية المكتشفة في ارسلان طاش عام ١٩٢٨ تعدّ آثاراً فنية هامة ووثائق تاريخية تدل على أهمية فنون النحت في مملكة دمشق الآرامية تمثل :

- ولادة حوروس
- الشجرة المقدسة
- أبا الهول المجنح
- وجه امرأة يطل من النافذة على عالم الأحياء •
- بقرة ترضع عجلها
- غزالاً يقضم العشب •••

ويبدو أن ملوك دمشق الآراميين وأمراءها وأغنياءها كانوا يدعون المهندسين والبنائين الفنانين الفينيقيين وغيرهم للقيام بتنفيذ بعض المشاريع المعمارية والأعمال الفنية . لأن التأمل في اللوحات العاجية التي كانت تزين عرش الملك الآرامي (حزائيل) ، ودراسة أسلوبها الفني ومواضيعها المختلفة ... يدل على تأثيرات مصرية وفينيقية وآرامية في عصر كانت فيه دمشق مركزاً هاماً من مراكز الفعاليات الحضارية يجذب المهندسين والفنانين والصناع الفنيين ليلبدعوا فيها روائع الفن الجميلة، ويلبوا بها متطلبات ملوك دمشق وأمراءها الآراميين المتعطشين الى مشاهدة المباني الجميلة والروائع الفنية والتحف النفيسة التي تتناسب مع مركزهم الاجتماعي ونفوذهم الدولي وازدهار بلادهم الاقتصادي .

الفنون التطبيقية في دمشق :

ازدهرت الفنون التطبيقية في دمشق في عهود الآراميين . وتفاخر الملوك الآشوريون بالغنائم التي حصلوا عليها من دمشق (أقمشة كتانية ، أقمشة مزركشة ، سرر عاجية ، مقاعد عاجية مزينة بالذهب ومطعمة بالأحجار الكريمة ...

مما يدل على مدى شهرة دمشق بالصناعات النسيجية اليدوية الكتانية والصوفية ، وفنون المطرزات الجميلة التي تضيفي الجمال على تلك الأقمشة الفاخرة . وتجدر الإشارة الى شهرة غوطة دمشق بالقنب وخيوط الكتان وألياف الكتان الناعمة التي كانت تستخدم في التضميد قبل أن يعرف الانسان القطن ويستخدمه .

كما أن المراعي الكثيرة وكثرة الغنم والماعز مما جعل الأصواف وشعر الماعز مادة أولية متوفرة بكثرة في دمشق استخدمها الانسان في صناعة الأقمشة الصوفية والخيم ... وغيرها ...

أضف الى ذلك ازدهار الصناعات الجلدية المختلفة .

وأن توافر الأشجار بكثرة في غوطة دمشق أسهم في ظهور الصناعات الخشبية وبخاصة المقاعد وغيرها ...

كما أن صناعة الفخار استمرت في دمشق في عهود الآراميين • وكثيراً ما يختلف علماء الآثار في تحديد قطع فخارية حمراء التربة والطينة فيما إذا كانت من عهود الآراميين أو من نوع Terra Sijillata من القرن الأول الميلادي •

وهناك صناعة الأدوات المختلفة كالمحراث الذي انتقل من بابل الى سورية، وأدوات الحفر و ••• والأدوات المختلفة اللازمة للصناعات اليدوية •• أضف الى ذلك معاصر العنب والزيتون •

وهناك صناعة الأسلحة والعربات الحربية والسهام والنبال والرمح والسيوف والأقواس ••• وغيرها من الأسلحة التي حققت للملك دمشق تفوقهم الحربي على أعدائهم وخصومهم •

الفعاليات التجارية في دمشق في عهود الآراميين :

إن أهمية موقع دمشق في واحة هامة على طرق التجارة العالمية الممتدة من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب جعلها بمثابة مرفأً للصحراء ، ومحطة هامة للقوافل التجارية ، وأحد مراكز الاقتصاد والتبادل التجاري والنقل من الساحل الى الداخل ، وإذا كان التجار الفينيقيون احتكروا التجارة البحرية، فإن الآراميين احتكروا عمليات التجارة والنقل البري • مما تطلب منهم تأمين سلامة الطرق التجارية وإيجاد أسواق لمحاصيلهم الزراعية ومصنوعاتهم المختلفة وكان نفوذهم يدعم فعاليتهم الاقتصادية •

الفعاليات الروحية والعلمية في دمشق في عهود الآراميين :

تبني الآراميون عبادة (حدد) رب المطر محبوب المزارعين الذين كانوا يقدّرون أهمية مياه الأمطار والأنهار والينابيع والآبار ••• كما كانوا يخشون بطشه وانتقامه لأنه كان أيضاً رب الصواعق والسيول الجارفة لكل ما قد تصل إليه من أشجار ومزروعات وبيوت وغنم وماعز وبقر ودجاج وغيرها من الحيوانات والممتلكات •

وبلغ تقديس الآراميين الرب (حدد) درجة جعلت ثلاثة من ملوكهم يعرفون بأسماء مركبة تتضمن اسم حدد مثل : برحدد الأول والثاني والثالث •

وكان (حدد) يسمى أيضاً (ريمون) وقد عرف باسم مركب يتضمن اسم ريمون (الملك طاب ريمون ٠٠٠)

وكان الآراميون يقدسون الأرباب الأخرى مثل : أثار جاتيس ربة الخصب • ويتمم الثالوث المقدس عند الآراميين (سيميوس) الرب الشاب الذي عرف فيما بعد عند الفينيقيين باسم (اشمون) •

والجدير بالذكر أن الآراميين كانوا يقدسون كل الأرباب ، ويتقربون منها بالندور • ومن أولئك الأرباب :

— الرب الفينيقي (ملقارت) الذي أقام ملك دمشق (برحدد الأول) نصباً له لأنه حماه وسمع نداءه •

— الرب الكنعاني (ايل) الذي حمل اسمه ملك دمشق (حزائيل / أي ايل رأى) .

— الرب الكنعاني أدونيس رب النبات والخصب •

— الرب سهر : رب القمر •

— الرب شمش : رب الشمس •

ولا نعرف الشيء الكثير عن طقوس الآراميين الدينية في دمشق ، وربما كانت عقائدهم المتعلقة بالحياة الأخرى لا تختلف عن عقائد معاصريهم البابليين والآشوريين والفينيقيين • والتي تتلخص بحياة الموتى وبعثهم من جديد والانضمام الى عالم الموتى وفرحهم بالتقدمات الجنائزية التي كانت تقدم اليهم من أفراد عائلاتهم ومجتمعهم الأحياء • وكانوا يعتقدون بأن ازعاج الموتى بمثابة جريمة ، وان سرقة قبورهم جرم لا يغتفر ويستوجب اللعنات الأبدية القاسية •••

علوم الزراعة والري :

تميزت غوطة دمشق بخصب أراضيها ووفرة مياهها ••• مما جعل سكانها ينصرفون الى القيام بكل ما من شأنه أن يجعلوا هذه الغوطة كجنة تتميز بثمار بسايتها وخضارها وورودها وأزهارها • وإن نجاحهم في تحقيق مشاريعهم الزراعية جعلها موضع تفاخرهم • وقد تضمنت كتابات الملك الآشوري (تجلات فلاسر

الثالث) أنه خرب غوطتها المثمرة ، ولم يترك شجرة من أشجار بساتينها وذلك للبقاء على اقتصاد دمشق ومصادر ثرواتها .

ولا شك أن الآراميين أدركوا أهمية الري في تطوير الزراعة وتوسيع رقعتها الخضراء مما جعلهم يهتمون بالري وأقنية المياه . والجدير بالذكر أن لفظ اسم (نهر ثوري) أحد أنهار فروع نهر بردى هو لفظ آرامي .

الكتابة والأدب الآرامي في دمشق :

تبني الآراميون الأبجدية الفينيقية المؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً . واستمروا في تحسينها حتى جعلوها لغة كتابة وقراءة مبسطة هامة ومنتشرة في كل أنحاء المنطقة . واقتبسوا بعض المفردات من البلاد المجاورة . واعتمدوا على لغتهم الآرامية في توحيد لهجات الممالك الآرامية المختلفة حتى صارت لغة دولية عصرئذ وذلك بفضل بساطتها ووضوحها وجمال نطقها . وانتشرت بواسطة التجار المتنقلين والتراجمة والمواطنين الأسرى ، وذلك في فترات السلم والحرب .

وقد رغب ملوك دمشق الآراميون في الكتابة باللغة الآرامية المشتركة في سبيل دعم كيان أمتهم ، وتأكيذاً لاستقلالهم . وهكذا كتبوا الحوليات والصكوك الإدارية وغيرها . . . أضف الى ذلك ما تطلبته العلاقات التجارية والدولية من استعمال اللغة الآرامية المشتركة .

ومن تلك الكتابات الآرامية المختلفة النص الذي نقشه ملك دمشق (برحدد الأول) على نصب أقامه على شرف الرب الفينيقي (ملقارت) وجاء فيه ما يلي :
النصب الذي أقامه برحدد ملك آرام على شرف سيده ملقارت ونذره له لأنه سمع ندائه . وعلى إحدى اللوحات العاجية التي كانت تزين عرش الملك الآرامي حزائيل والمكتشفة في أرسلان طاش عام ١٩٢٨ يقرأ ما يلي :
. . . ابن عما الى سيدنا حزائيل بسنة . . .

ولا بد أن جمال طبيعة دمشق وسحر غوطتها الغناء والحروب المختلفة التي خاضتها والمعاناة الحياتية . . . الخ . . . كل ذلك قد انعكس في أدب متنوع ، وكتابات مختلفة ملكية وأناشيد وطقوس وأساطير وملاحم ونصائح وحكم تربوية وحياتية ، لا بد أن أسلوبها الأدبي الرفيع لا يقل جمالاً عن الأسلوب الذي تميز به الأدب الكنعاني والعهد القديم .

وإذا كان من سوء الحظ أنه لم يصلنا شيء ما من ذلك الأدب الآرامي في عصر ازدهار دمشق فإن ذلك يجعلنا نقدر تلك الخسارة الثقافية الكبرى الناتجة عن ضياع روائع ما أبدعه أولئك الأدباء القدماء الذين كان من أحفادهم (آحيقار) المشهور بحكمته الحياتية التي تعتبر من روائع الأدب الانساني العالمي .
والجدير بالذكر أن اللغة الآرامية اتخذت في العهود الهلنستية والرومانية والبيزنطية موقف المدافع عن قومية البلاد تجاه التيار الثقافي اليوناني واللاتيني عصرئذ . فبرهن أولئك المواطنون باهتمامهم بلغتهم الآرامية القومية على حسهم الحضاري ووعيهم القومي .

والخلاصة :

- مما تقدم تبدو أهمية دراسة تاريخ دمشق في عهود قداماء العرب الآراميين الذين أخذوا على عاتقهم منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد حتى تاريخ قضاء الآشوريين على استقلال مملكة دمشق الآرامية عام ٧٣٢ قبل الميلاد :
- ١ - توحيد صفوف الممالك الآرامية وتنسيق جهودها وتنمية قدراتها المختلفة .
 - ٢ - الدفاع عن البلاد الآرامية وصد الحملات الحربية العدوانية الآشورية التي لم تستطع الوصول الى مصر إلا بعد قضائها على مملكة دمشق عام ٧٣٢ ق م .
 - ٣ - اخضاع العبريين لسيطرتهم .
 - ٤ - الاهتمام بالفعاليات الحضارية المختلفة العمرانية والمعمارية والفنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . . .
- وغدت دمشق زعيمة الممالك الآرامية ومشعل حضارتها في المنطقة . فتمتعت بنعمة الحرية والاستقلال والازدهار والانتصار والاعتزاز بالمجد القومي والتفاخر بالمركز المرموق بين ممالك ذلك العصر . . . كما قاست مرارة مواجهة الحملات العدوانية وصدها ، وعذاب الاضطهاد ومعاناة الهزيمة وتخريب الحقول والبساتين وقطع أشجارها والقضاء على محاصيلها عام ٧٣٢ ق م على يد (تجلات فلاسر الثالث) الذي زال كغيره من الفاتحين الغزاة وبقيت دمشق المدينة العربية الخالدة والمتجددة الشباب .